الفصل الثالث

خصائص منهج نظام الإعلام الإسلامي

ويحتوي على ثلاثة مباحث كما يلي:

المبحث الأول : خصيصة منهج التلقي والبلاغ.

المبحث الثاني : خصيصة منهج شمول التصور.

المبحث الثالث : خصيصة منهج حرية نقل المعلومات والمسئولية الذاتية.

* * *

المبحث الأول
خصيصة منهج التلقي والبلاغ

المنهج هو: الطريق الواضح، وهو النظام والخطة المرسومة لتنفيذ أمر معين. والمناهج تتعدد؛ لأنها أحكام وأوامر ونواهي وخطط ونظم وطرق من جهة، ولتعلقها بجانب الحياة البشرية، واختلاف أحوال الناس وأوضاعهم من حيث الزمان والمكان من جهة أخرى. ومنهج التلقي والبلاغ واحد من المناهج الخاصة بنظام الإعلام الإسلامي، وهو منهج عمل به النبي ﷺ وعمل به الصحابة رضوان الله عليهم، وكان لابد للعاملين في حقل نظام الإعلام الإسلامي والإعلام بصفة عامة من الكفاءات ذوات الفكر الإسلامي أن يتبعوا هذا المنهج في التلقي والبلاغ، وثمة تراث واسع في هذا المجال.

والمقصود بمنهج الإعلام الإسلامي: طريق نظام الإعلام الإسلامي في أداء مهامه.

وفي منهج التلقي والبلاغ، نجد هذا التراث في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. والبلاغ بعد التلقي إنما يقوم على الكلام وبالكلمة، وهذا مرغوب فيه من عند رسول الله ﷺ، حتى أن الكلمة يلقيها صاحبها تدخله الجنة وأخرى تدخله النار، وبالكلمة يتم نشر الدعوة، وذلك بوسائل الإعلان المختلفة التقليدية والحديثة. قال ﷺ: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيرضى الله بها عنه إلى يوم القيامة، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيسخطه الله بها إلى يوم يلقاه» (المستدرك: 136). ويقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم].

والبلاغ أو الدعوة أو الإعلام هي العوامل التي ظلت خلال السنوات الطويلة التي ظلت تدعو وتمهد الطريق إلى نشر الإسلام يوم لم تكن أيّة قوة تدفع عنه ضراوة الوثنية وشراسة الوثنيين، وحين كان الإسلام متمثلًا في فردٍ واحدٍ اصطفاه ربه، أو أعدادٍ قليلة مستضعفة لا حول لها ولا قوة وسط عدد كبير يموج بالكفر والشرك وما يصاحبهما من قسوة وظلم

وطغيان. كان البلاغ يعني الإعلام بكل ما أمر الله تعالى به رسوله ﷺ، قال سبحانه وتعالى: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ ﴾ [إبراهيم:52] ، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام]. فمن هذه الآيات المباركات يمكن أن نستخرج منهجًا لنظام الإعلام الإسلامي ومبادئه، منها أن الإعلام والدعوة إلى الإسلام اقتصرت في هذه المرحلة على البلاغ على النحو الذي رأيناه في الآيات القرآنية(1).

إن تبليغ الرسالة والإعلام بالدعوة الإسلامية من أهم واجبات المسلمين وأسماها، ومهما كانت الصعاب التي تكتنف طريق المسلمين فقد وعد الله رسوله ﷺ بأن يعصمه من الناس في سبيل الدعوة إلى الحق ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [المائدة:67].

ومعروف أن الإعلام في اللغة هو: التبليغ. **يقال**: بلَّغت القوم. أي: أوصلتهم الشيء المطلوب. يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾﴾ [القصص].

والبلاغ: ما يبلغك ويصلك. وفي الحديث: «بلغوا عني ولو آية» (البخاري:3274). فأعلم وأبلغ وبين وأوصل، كلمات تعني: إشاعة المعلومات وبثها وتصميمها ونشرها وإذاعتها على الناس(2)، قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾ [الرعد]، وقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور]، وقال في سورة الشورى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ ﴾ [الشورى:48] ، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ﴾ [المائدة:67]. وروى الشافعي أن رسول الله ﷺ قال: (نضر الله تعالى عبدًا سمع مقالتي ثم أداها لمن لم يسمعها، فرب حامل فقه لا فقه له ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب المؤمن: إخلاص العمل لله، وطاعة ذوي الأمر ولزوم جماعتهم، فإن دعوتهم تكون من ورائهم) (مسند

(1) محمد عبد القادر حاتم، الإعلام في القرآن، بدون طبعة (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2000م)، ص196-197.

(2) إبراهيم إمام، أصول الإعلام الإسلامي، بدون طبعة (القاهرة: دار الفكر، بدون تاريخ) ص 13.

أحمد:16800)[1].

ويمكننا أن نورد نموذجًا للبلاغ المبين، يوضح أهمية منهج البلاغ في الدعوة الإسلامية ونظام الإعلام الإسلامي، كما يوضح أهمية البلاغ، ذلك المنهج الذي يأخذ به نظام الإعلام الإسلامي الصحيح في كل مجال من مجالات الحياة بيانًا وبلاغًا واضحًا. نضرب مثلًا على هذا البلاغ: عندما خاطب الصحابي جعفر بن أبي طالب ا النجاشي وكان بلاغه مبينًا تتضح فيه سمات منهج البلاغ في منهج نظام الإعلام الإسلامي، فنسمعه يقول عن حقيقة الإسلام، ووصف حال قومه قبل الإسلام، وحديثه عن صفات الرسول ﷺ، وكيف كان عرضه مقنعًا للمستمع -وهو النجاشي- حاكم الحبشة المدين بدين النصرانية آنذاك: (أيها الملك، كنا قومًا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء إلى الجار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولًا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبده نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا: بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن: الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله، فبغى علينا قومنا؛ فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان، فلما قهرونا وضيقوا علينا خرجنا إلى بلادك ورجونا ألا نظلم عندك)[2].

فالبلاغ والبيان والتبيين هي مفردات كان ولا يزال الهدف منها التبليغ لهذه الدعوة. والتلقي والتبليغ منهجان عامان في نظام الإعلام الإسلامي، إذ إنه مناط بكل المسلمين أفرادًا وجماعاتٍ ودولًا وهيئات أن يتلقوا التعليم والتعليمات من مصادرها الأساسية الأصلية ومن ثمّ يقومون بواجب البلاغ .

يورد الباحث هنا بعض الآيات التي جاء فيها ذكر التبليغ والبلاغ ما يورد، وشرح هذه الآيات، وتفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾ [الرعد] ، من كتاب (في ظلال القرآن للشهيد سيد قطب)، ومنه تتبين أهمية البلاغ والتبليغ:

---

(1) إبراهيم إمام، الإعلام الإسلامي المرحلة الشفهية، بدون طبعة (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية1980م) ص 9-10.

(2) إبراهيم إمام، الإعلام الإسلامي المرحلة الشفهية، مرجع سابق ص54.

"وهكذا تتجلى طبيعة الرسالة وحدود الرسول ﷺ.. إنما هو منذر ليس عليه إلا البلاغ، وليس له إلا أن يتلو ما أوحي إليه، وما كان له أن يأتي بخارقة إلا بإذن الله، ثم هو عبد الله ربه وإليه متابه ومآبه، وهو بشر من البشر يتزوج وينسل ويزاول بشريته كاملة بكل مقتضيات العبودية". أي: وإن أريناك يا محمد بعض الذي وعدناهم من العذاب أو (نتوفينك) ونقبضك قبل أن تقر عينك بعذاب هؤلاء المشركين ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾ [الرعد]، أي: ليس عليك إلا تبليغ الرسالة وعلينا حسابهم وجزاؤهم. وفي قوله تعالى من سورة يس: ﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾ [يس].

إن الله يعلم وهذا يكفي، وإن وظيفة الرسل البلاغ وقد أدوها، والناس بعد ذلك أحرار فيما يتخذونه لأنفسهم من تصرف وفيما يحملون في تصرفهم من أوزار، والأمر بين الرسل وبين الناس هو أمر التبليغ من الله. فمتى تحقق ذلك فالأمر كله بعد ذلك لله، ولكن المكذبين الضالين لا يأخذون الأمور هذا المأخذ الواضح السهل اليسير، ولا يطيقون وجود الدعاة إلى الهدى فتأخذهم العزة بالإثم، فيعمدون إلى الأسلوب الغليظ الضعيف في مقاومة الحجة لأن الباطل ضعيف القدر(1).

هذه نماذج فقط من الآيات التي توضح منهج التلقي والبلاغ في القرآن، وبالرجوع إلى القرآن نجد أن الآيات التي وردت فيها كلمات البيان والتبيين حوالي عشر مرات في سور مختلفة؛ البقرة، وآل عمران، والمائدة، والحجرات...وغيرها من السور. كما نجد الآيات التي ورد بها ذكر البلاغ إحدى عشرة آية في السور الآتية: الأعراف، والمائدة، والنحل، والنور، والعنكبوت، ويس، والشورى، والتغابن، والأنبياء. وهذا كله يدل على أهمية التلقي والبلاغ في نظام الإعلام الإسلامي، وقد مارس رسول الله ﷺ مهنة البلاغ وحث عليها.

ويورد الباحث كذلك نماذج من الأحاديث التي تحث على البلاغ المبين: قال ﷺ: (نضر الله عبدًا سمع مقالتي فوعاها ثم أداها لمن لم يسمعها، فرب حامل فقه لا فقه له ورب حامل فقه إلى من أفقه منه، ثلاثة لا يغل عليهن قلب المؤمن إخلاص العمل لله، وطاعة ذوي الأمر، ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تكون من وراءهم).

وقد كان رسول الله ﷺ هو الذي نفّذ منهج التلقي والبلاغ؛ فأرسل أصحابه مبلغين لهذا الدين بكل الوسائل المتاحة في تلك الحقبة، وكان من أهم الوسائل حينئذٍ: الاتصال الشخصي

(1) الإمام أحمد بن حنبل، المسند، الجزء الرابع، ص 80.

والجمعي. نورد هنا بعض الأمثلة على ذلك خاصة، كنماذج قام بها رسول الله ﷺ. ففي البخاري: لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء] صعد النبي ﷺ على الصفا، فجعل ينادي (وهذا أسلوب من أساليب البلاغ): يا بني فهر، يا بني عدي،.. لبطون قريش، حتى اجتمعوا إليه، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولًا لينظر ما هو..؟ فجاء أبو لهب وقريش فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلًا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقًا. قال: إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب: تبًّا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا. فنزلت ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾﴾ [المَسد]. وكان الرسول ﷺ يطوف على الناس في منازلهم، **يقول**: إن الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا. **وأبو لهب يقول**: يا أيها الناس هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم.

والآن، وسائل الإعلام الحديثة تنقل الكلام والبلاغ من أركان الدنيا المختلفة إلى أركانها المختلفة، وحري بنظام الإعلام الإسلامي أن يستغل هذه الوسائل ويسخرها في مجال منهج التلقي والبلاغ، في إطار منهج نظام الإعلام الإسلامي.

والرسول ﷺ قام بتبليغ الدعوة بكل وسيلة تصل بها كلمته إلى النفوس مقنعة ومؤثرة، بالتلاوة والتفكير والتزكية والتعليم والوعظ والقول البليغ والجهاد والكتابة وبعث البعوث والدعاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقصص، إلى آخر ما ساقه القرآن الكريم من ذلك جملة وتفصيلا، مما يستوعب في طياته كل الأساليب التي يمكن أن يخاطب بها الإنسان بالإقناع والتأثير في كل زمان وفي كل مكان، ومع تطور في الحياة والبيئات مما نعلم ومما لا نعلم وما هو كائن وما سيكون(1).

ومنهج التلقي والبلاغ الذي هو من خصائص منهج نظام الإعلام الإسلامي اتبعه رسول الله ﷺ وطبقه على أصحابه للقيام بالبلاغ.

فبعد أن تمت البيعة (بيعة العقبة الأولى) وانتهى الموسم بعث النبي -ﷺ- مع هؤلاء المبايعين أول سفير له ليثرب، ليعلم المسلمين فيها شرائع الإسلام ويفقههم في الدين وليقوم بنشر الإسلام بين الذين لم يزالوا على الشرك، واختار لهذه السفارة شابًّا من شباب الإسلام من السابقين الأولين وهو مصعب بن عمير العبدري ا . وأقام مصعب في بني سعد بن

(1) حسن عيسى عبد الظاهر، فصول في الدعوة الإسلامية، الطبعة الأولى (قطر: دار الثقافة، 1985م) ص 89.

زرارة يدعو الناس إلى الإسلام، حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون، إلا ما كان من دار بني أمية بن زيد وخطمة ووائل، وكان فيهم قيس بن الأسلت الشاعر – وكانوا يطيعونه – فوقف بهم عن الإسلام حتى كان عام الخندق سنة خمس من الهجرة. وقبل حلول موسم الحج التالي – أي حج السنة الثالثة عشرة – عاد مصعب بن عمير إلى مكة يحمل إلى رسول الله ﷺ بشائر الفوز، ويقص عليه خبر قبائل يثرب، وما فيها من مواهب الخير، وما لها من قوة ومنعة(1).

كما بعث رسول الله ﷺ للبلاغ بهذه الدعوة إلى اليمن معاذ بن جبل ومعه أبو موسى الأشعري.

وفي أواخر حياة الرسول ﷺ، طبق منهج التلقي والبلاغ، في منهج نظام الإعلام الإسلامي، فكان ذلك دليلًا على أهمية البلاغ، كان ذلك في اليوم الثامن من ذي الحجة – وهو يوم التروية – عندما توجه الرسول ﷺ إلى منى، فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر – خمس صلوات – ثم مكث قليلًا حتى طلعت الشمس، فأجاز حتى أتى عرفة. فوجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها، حتى إذا زالت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له، فأتى بطن الوادي، وقد اجتمع حوله مائة ألف وأربع وعشرون من الناس، فقام فيهم خطيبًا وألقى هذه الخطبة الجامعة مذكرًا بأهمية منهج التلقي والبلاغ:

(أيها الناس، اسمعوا قولي، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدًا، إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا كل شيءٍ من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث – وكان مسترضعًا في بني سعد فقتلته هذيل – وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع من ربانا ربا العباس بن عبد المطلب؛ فإنه موضوع كله، فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربًا غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله... إلخ).

(أيها الناس، إنه لا نبي بعدي ولا أمة بعدكم، ألا فأعبدوا ربكم، وصلوا خمسكم،

(1) صفي الدين المباركفوري، الرحيق المختوم، الطبعة الأولى (مكة المكرمة، رابطة العالم الإسلامي 1980م) ص 164.

وصوموا شهركم وأدوا زكاة أموالكم طيبة بها أنفسكم، وتحجون بيت ربكم، وأطيعوا أولات أمركم تدخلوا جنة ربكم. وأنتم تسألون عني، فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فقال وإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكِّتها إلى الناس: اللهم اشهد. ثلاث مرات).

وفي رواية أخرى في آخر خطبة حجة الوداع قال: «ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم. قال: اللهم اشهد، فليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع»(1).

بدأ رسول الله ﷺ بعثته بالبلاغ وختمها بالبلاغ في أول الدعوة، صعد الصفا وبلَّغ بلاغه المشهور. والآن في خطبة الوداع يبلغ بلاغًا جامعًا وهو يتلقى عن ربه مما يزيد أهمية منهج التلقي والبلاغ في منهج نظام الإعلام الإسلامي.

نسوق هذا لنؤكد أن منهج التلقي والبلاغ منهجٌ أصيلٌ في الإسلام، وله أساليب تتجدد، وله مضمون ثابت وفق المفاهيم الإسلامية، وكما تتجدد أساليبه تتجدد وسائله. وعلى نظام الإعلام الإسلامي أن يقوم بواجب أداء البلاغ المبين وتبليغ الناس كافةً دعوة الإسلام.

ومن شروط البلاغ: أن يكون مبينًا، وأن يقدم الإسلام في أجمل وأحسن وسيلة وأدق وأوضح بيان. فلا يجوز أن يصاغ المعنى العظيم في شكل دميم، ولا أن تقدم الحقيقة في إطار يطفئ بهاءها، كما أنّ الاعتبار العصري أو الظرفي له وزنه الراجح في تحديد أساليب التبليغ.

كان موسى ÷ يؤدي أمانة التبليغ وأمانة البلاغ وهو يلقي عصاه ويجابه فتنة السحرة: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [الأعراف].

إن سجود السحرة وإيمانهم بالله، من نتائج البلاغ المبين الذي نجح فيه موسى، واختار موسى هذا الصراع في حشد من الناس، أو في تجمع إعلامي عام: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾﴾ [طه].

(1) صفي الدين المباركفوري، الرحيق المختوم، ص 516 وما بعدها، مرجع سابق.

وسحر عصرنا هذا هو الإعلام؛ بوسائله التقنية، وفنونه المختلفة، وسرعة بثه، وقوة تأثيره وبراعته في تزيين ما يريد تزيينه. وبما أن خبر السماء قد انقطع عن الأرض بانتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وترتب على ذلك انقضاء زمن معجزات الدعوة، فليس أمام المسلمين غير إتقان فنون الإعلام، أداءا لواجب البلاغ المبين وإبطالًا لصنع السحرة المعاصرين[1].

والإعلام المعاصر مجموعة أجهزة ووسائل تختصر مساحات المكان ومسافات الزمان، وتخاطب أكبر عدد من الناس في أسرع وقت ممكن، ففي حجة الوداع - كما تقدم - حج مع رسول الله ﷺ أربع وعشرون ومائة ألف من المسلمين، وهو أكبر حشد إسلامي في ذلك الوقت، ولقد بلغ النبي -ﷺ- هذه الحشود بوصايا النبوة بواسطة رجال هم أقرب إليه من غيرهم، ينقلون كلامه إلى من فصلت الحشود بينهم وبينه، أليس التلفزيون وسيلة تعين على توصيل كلام الله وكلام النبي إلى ملايين الناس؟[2]

فبلدٌ عدد سكانه مليون إنسان متوسطي الدخل والثقافة، جميعهم يشاهدون التلفزيون، بالصورة والصوت والحركة واللونين الأبيض والأسود أو الألوان المتعددة تشد الناس إلى الجلوس أمام الشاشة الصغيرة.

فالشيخ سحنون الذي سافر من المغرب قاصدًا المدينة لتلقي العلم عن الإمام مالك فطال سفره حتى أدركه الموت في الطريق. كان يمكن أن يغنيه المذياع وأن يبلغه مالكًا ا بصوته إلى المغرب؛ لكن المذياع لم يكن من وسائل ذلك العصر، لذا كان ينبغي أن نحدد الموقف بوضوح وصدق من الوسيلة الجديدة التي يمكن أن نبلغ بها الإسلام، إذ يمكن أن يكون الموقف تجاهها أحد ثلاثة:

1- هدم الوسيلة الجديدة وتحطيمها.

2- مقاطعتها.

3- تحويلها وتسخيرها لخدمة الحق والتبليغ من خلالها.

والموقف الثالث هو اللائق بأمة راشدة، تملك معيار الاختيار والانتقاء.

ثم إنّ الإسلام لم يخترع السيف ولا الخيل ولا اللغة العربية ولا النطق، ولكنه استخدم هذه الوسائل في البلاغ وفي سبيل أهدافه وغاياته. بعد أن منحها المضمون الحق والضابط الأخلاقي.

---

(1) زين العابدين الركابي، النظرية الإسلامية في الإعلام والعلاقات العامة، من كتاب الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية، بدون طبعة (الرياض: العبيكان للطباعة والنشر 1976م) ص 300-301.

(2) المرجع نفسه ص 304.

فالوسيلة الإعلامية عن الركن الثاني من أركان الإسلام (الصلاة) تُرِك اختيارها لاجتهاد المسلمين، فاقترحوا بوقًا للبلاغ، واقترحوا ناقوسًا كذلك للبلاغ. ولكنهم عدلوا عن الوسيلتين، ثم رأى عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري النداء للصلاة في النوم، فأخبر النبي، فأقر النبي ﷺ هذه الوسيلة التي رآها زيدٌ في المنام، وكذلك رآها عمر بن الخطاب ا .

والجيل المعاصر والأجيال القادمة يجب أن تأخذ من الوسائل ما تبلغ به الإسلام، وتتحرى التقرب إلى الله بكل وسيلة متاحة، وتتكيف معها تكيف من يأخذ من قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾ [إبراهيم:4] فقهًا يترجمه إلى قاعدة ناطقة، بشعار متجدد دومًا: "كل مسلم مكلف بمخاطبة وتبليغ جيله بلسان عصره".

فالجيل الذي نضج في الستينات أو السبعينات وما بعدها ليس مسئولًا عن وسائل عصور نسخ الكتب باليد أو نقل البريد بالإبل، إنه مسئول عن موقفه من وسائل عصره، أتقنها أم أهملها؟ وهو مسئول: أبلَّغ عن طريق هذه الوسائل وطبق منهج التلقي والبلاغ أم أهمل؟ ووسائل البلاغ في هذا العصر عديدة: منها: السينما، والتلفزيون، والكتاب، والصحافة، والإذاعة، وغيرها من وسائل الإعلام(1).

من خلال السطور المتقدمة تتضح لنا أهمية البلاغ، وكيف كان رسول الله ﷺ يقوم به في إطار منهج نظام الإعلام الإسلامي، مما يلقي على كاهل الإعلام الإسلامي المعاصر ونظامه أن يؤدي دوره من خلال منهج التلقي والبلاغ الضارب بأصوله في سيرة الرسول ﷺ والواضحة معالمه في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ذلك المنهج الذي ظل مضمونه ثابتًا ووسائله متعددة؛ ما بين تقليدية وحديثة. وما تقدم دراسة مختصرة عن منهج البلاغ والتلقي من خلال منهج نظام الإعلام الإسلامي، والدراسة في رأيي تأصل أهمية التلقي والبلاغ، وتؤكد أهمية واستمرارية البلاغ، وتوضح كذلك أن وسائل البلاغ في هذا العصر مسئول عنها الجيل الحالي، وإلى أي مدى تم تسخيرها لنشر الإسلام في العالم المعاصر.

* * *

(1) زين العابدين الركابي، مرجع سابق، ص 305-306.

المبحث الثاني
خصيصة منهج شمول التصور

الشمول من الخصائص التي يتميز بها منهج نظام الإعلام الإسلامي؛ ذلك لأن الشمول أساسًا من خصائص النظام الإسلامي، وهي صفة يتميز بها الإسلام عن كل الأديان، والشمول صفة وكلمة لم تعرفها الأديان والفلسفات والمذاهب الأخرى وإنما عرفها الإسلام. إنه شمول للزمن وللحياة كلها وللإنسان كله[1].

ومنهج نظام الإعلام الإسلامي يخاطب الإنسان من حيث هو إنسان متكامل، كما هو منهج تصوره شامل لعقل الإنسان وروحه وجسده، كما هو منهجٌ للإنسان كله؛ روحه وعقله وجسده وضميره وإرادته ووجدانه بهدف إصلاح هذا الإنسان.

يخاطب نظام الإعلام الإسلامي الإنسان في كل مراحل حياته، ولهذا نجد أحكامًا تتعلق بالإنسان وهو مولود، وأحكامًا تتعلق بالرضيع، وأخرى تتعلق بالإنسان صبيًّا وشابًّا وكهلًا وشيخًا، وهناك تعليمات ينتهجها منهج نظام الإعلام الإسلامي نحو الإنسان قبل أن يولد وأخرى بعد الممات، ومن حيث النشاط نجد نظام الإعلام الإسلامي له منهج يغطي كل أنواع النشاط البشري المعروف، ويغطي كل جوانب الحياة؛ سواء من ناحية العقيدة أو الشريعة أو الأخلاق، ويراعي منهج نظام الإعلام الإسلامي في شموله وتصوره لكل الأنشطة التي يقوم بها الإنسان مادية كانت أو روحية، فردية كانت أو جماعية، كما يشمل الجوانب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية وكافة الأنشطة المنبثقة من هذه الجوانب[2].

إن من أبرز سمات منهج نظام الإعلام الإسلامي، أنه شامل وعام للبشر جميعًا، فليس في الإسلام إعلام سري ونص سري، وهذه العمومية انعكاس لروح العقيدة الإسلامية المتوجهة للناس جميعًا والتي أساسها عدم وجود الواسطة بين العبد وخالقه سبحانه وتعالى، ويوازي العمومية في الإعلام الإسلامي العلانية، فالإعلام في الإسلام يتصف بالعلن خلافًا للأديان أو العقائد التي تحرص على الكتمان والسرية، وتأخذ عهودًا قاسية على أعضائها بعدم إفشاء أفكارهم أو مبادئهم قد تصل عقوبة مخالفتها إلى القتل لمن يفشي الأفكار أو المبادئ.

---

(1) يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، الطبعة السابعة (بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1989م) ص105.
(2) مسئولية الإعلام في ظل النظام العالمي الجديد، ص159 .

وآيات القرآن الكريم في ذلك شديدة الوضوح: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [البقرة].

ومن آيات القرآن تظهر لنا سمات الإعلام وشموله(1).

ومنهج نظام الإعلام الإسلامي في شموله ذو مهمات متشعبة ومستويات كبرى وأعباء كثيرة ثقيلة، تتوزع على دوائر وتمتد إلى آفاق بعيدة مترامية الأطراف، إنه إعلام غير محدود ولا تنتهي رسالته بمعركة يخوضها أو عند فكرة يذود عنها أو رأي يضمن له الذيوع والانتشار، فهو رغم مرور أكثر من ألف وأربعمائة عام على مولده، ما زال يتولى مسئولية الدعوة إلى الدين أولًا، والتصدي للحملات التي تعرَّض لها الإسلام طوال القرون الأربعة عشر الماضية، ولا يزال يتعرض لمثيلاتها حتى اليوم ثانيًا، ومجابهة التطورات التي تطرأ على ساحة الصراع العقائدي، وفي ظل التقدم الحضاري الذي يرافقها وتنبثق عنه تحولات فكرية وانحرافات حادة تعاني منها البشرية، وتفرض على منهج نظام الإعلام الإسلامي أن يبصر بها مجتمع المسلمين، ويحميه من شرورها وأخطارها باستمرار ثالثًا؛ هذا كله يتطلب من منهج نظام الإعلام الإسلامي أن يكون في مستوى ما هو مدعو للقيام به في وجه تحديات وقوى وخصومات قديمة ومتجددة، صحيح أن التيارات التي تناصب الدين الإسلامي العداء وتبادره الخصومات وتشن عليه الحروب لا تحكمها مبادئ ولا قيم، ولا تلتزم بقواعد أو آداب.. وصحيح أن المعارك التي يخوضها الإسلام والمسلمون قاسية ومريرة وطويلة الأمد وشاملة في كل مجالات الحياة الإسلامية. ذلك كله يستدعي أن يكون نظام الإعلام الإسلامي ومنهجه شاملًا ومتابعًا في شموله لكل ما يلحق الإسلام من أذى.

إذن، الإسلام هو الدين الصحيح، ومنهجه في الإعلام جدير بأن يحقق انتصاره الأكيد في نهاية كل معركة يخوضها، وهو قادر على ذلك بشموله الذي يغطي كل المعارك المادية والمعنوية؛ لأنه الدين الذي أتم الله به على أتباعه نعمته، كما رضيه لهم نهجًا وسبيلًا للحياة(2).

---

(1) محمد نصر مهنا، في النظرية العامة للمعرفة الإعلامية، بدون طبعة (أسيوط: المكتبة الجامعية، بدون تاريخ) ص297.

(2) الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية-النظرية والتطبيق، وقائع اللقاء الثالث للندوة العالمية للشباب الإسلامي، بدون طبعة (الرياض: شركة العبيكان، بدون تاريخ)، ص452-453.

ولما كان الإسلام دين دعوة -وهو الدين الشامل- فلابد أن تكون الدعوة من الشمولية بحيث ترتفع إلى مستوى الشمولية التي يتسم بها الدين الإسلامي، وتتمثل النظرية الشمولية في الفلسفة الإعلامية الإسلامية في الجوانب الآتية:

1- شمولية الإطار الإعلامي:

وفيها يتسع الإطار الإعلامي الإسلامي ليشمل جميع المسلمين القائمين بالاتصال، كلٌّ بقدر طاقته وخبراته وثقافته، وبذلك لم تكن ممارسة الدعوة حكرًا على أحد، حيث امتدت لتشمل: الطبيب الداعية، والتاجر الداعية، والمهندس الداعية، بالإضافة إلى المتفرغين للدعوة والمختصين في شئونها كما حددت الآية في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة].

2- شمول التجربة الإعلامية:

جميع التجارب الإنسانية في مجال الإقناع والدعوة من لدن آدم ÷ وحتى قيام الساعة مجال خصب للدراسة والاستفادة منها؛ لأن التجربة الإنسانية من حيث مقدماتها الإقناعية وأنماطها واحدة، ولذلك استفادت النظرية الإعلامية الإسلامية من خبرات وأساليب جميع الأنبياء والمرسلين السابقين في تحديد أسسها ومقوماتها كما تضمنها القرآن الكريم وأوضحتها السنة النبوية.

3- شمول النطاق الإعلامي:

فالنظرية الإعلامية انطلاقًا من الإطار العام للدين الإسلامي والذي يشمل الإيمان والعبادات، والمعاملات، والنظام الاقتصادي والاجتماعي، والعادات والعلاقات الشخصية بين الإنسان وأهله وأقربائه ومعارفه، وأيضًا النظام السياسي، والإداري والقضائي والدولي، وكل ما يتعلق بالإنسان؛ فهي في إطار هذا النطاق لا تستطيع أن تعزل نفسها ولا أن تقتصر على الوفاء بمتطلبات جانب على حساب جانب آخر، وإنما تنظم كل الجوانب على السواء، وعليه، فإن وصف النظرية الإعلامية في الإسلام بالشمول يحتم عليها أن تقدم إعلامًا شاملًا شمول الإسلام؛ فتقدم الأخبار والمعاملات والتفسير والإرشادات والتوجيه والتسلية(1).

مما تقدم يتضح لنا شمول التصور في منهج نظام الإعلام الإسلامي، وكيف أن نظام

(1) رشدي شحاتة أبو زيد، مسئولية الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى (القاهرة: دار الفكر العربي، 1999م) ص85.

الإعلام الإسلامي يقدم خدمة شاملة للإنسان في كافة مناحيها التي تشمل الحياة الدنيا كما تشمل الحياة الآخرة عملًا بقوله تعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾ [القصص] .

هكذا تتبين خصيصة منهج شمول التصور في نظام الإعلام الإسلامي ومنهجه في التطبيق على نحو ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية والتطبيق العملي من عمل رسول الله ﷺ مما يجعل نظام الإعلام الإسلامي ومنهجه في العصر الحديث متمسكًا بشمول التصور حتى يقوم بواجبه تجاه التغيير الاجتماعي نحو الإسلام.

* * *

المبحث الثالث
خصيصة حرية نقل المعلومات والمسئولية الذاتية

الحرية كلمة واسعة الأبعاد وغنية المضمون، تستمد مادتها من الفطرة التي فطر الإنسان عليها، فالحرية قد تكون: حرية من الخوف، أو حرية من الجهل، أو حرية من الحاجة، أو حرية من الزمان والمكان؛ لذلك فإن الإنسان يكافح ليتحرر من الخوف الذي يسببه له السلطان القوي الظالم، ولا شك أن ثورات أفراد كثيرين وشعوب عديدة كانت للتحرر من السلطان الذي يخيف أتباعه ويدمر طمأنينتهم ويشكل تهديدًا لأمنهم في حاضرهم ومستقبلهم، والإنسان أيضًا يكافح ليتحرر من جهله بما يجري حوله.. حتى يتحرر من الغموض الذي يحيط به ويثقل عليه حين يقلب نظره في فضاء الدنيا من حوله؛ في البروج السابحة في الفضاء والكواكب السيارة، وفي الشمس التي ترسل النور والحرارة إليه، وفي حقيقة القمر الذي يطبق بالكرة الأرضية، ظاهرات الحياة والموت والصحة والمرض، فيما يحيط به ويثقل عليه من الأسرار الخاصة بالعالم الذي خرج منه، والعالم الذي يضطرب في جوانبه، والعالم الذي يصير إليه بعد الموت، هذه الخفايا كلها تلح عليه أن يقتحم جدرانها ويستكشف ما وراءها، ولعل تاريخ الإنسان كله يكون ملحمة ذات فصول دائمة لعمليات الاستكشاف التي يقوم بها؛ ليحرر نفسه من ظلمات الجهل التي تتزاحم حوله فتغشي عليه طريقه، والإنسان يجاهد ليتحرر من الإحساس بالحاجة؛ الحاجة إلى الطعام والشراب، والحاجة إلى الكساء، والحاجة إلى السكن، ولذلك فقد سجل في تاريخ القرون الماضية تحولات هائلة في سبيل الحصول على غذائه وكسائه ومسكنه، ولا شك أن الحروب التي خاضها، والتضحيات التي قدمها، والأسلحة التي اخترعها كانت إلى حد غير قليل للتحرر من كل أنواع الحاجات. ولا يزال حتى يومنا هذا رغم الثراء العريض الذي حققه ومصادر التغذية والكسوة والسكن التي توصل إليها، حتى يومنا هذا يجاهد من أجل التخلص من شبح الحاجة الثقيل.

وهو أيضًا يجاهد للتخلص من شبح الجمود؛ إذ إنه لا يطيق السكن والبقاء مثبتًا في مكان واحد. إنه يريد أن يتحرك لأنه لا يشعر بكمال حياته إلا بالحركة، وإذا كانت الهجرات البشرية التي ترسم طريق التاريخ وتحدد مسيرات الحضارات البشرية كانت ولا تزال حقيقة قائمة، فليس ذلك إلا خضوعًا للرغبة في الحركة والتنقل أيضًا، ولنا في الهجرات التي حدثت في صورة الانفجار البشري الكبير، أو في صورة حقيقة بطيئة الآية والعلامة، بل إن في وسعنا

القول بأن عظمة الحضارة مشروطة في بعض وجوهها بالقدر الذي يؤمن فيه أصحابها بحرية التحرك وحرية التفكير والحاجة إليهما.

والإنسان أخيرًا يكافح بكل ما يملك من القوة للتحرر من المكان والزمان.. أي أنه يعمل على استيعاب كل مكان ممكن بالتحرك فوقه، كما يعمل على استيعاب كل زمان يمكن أن يحتفظ فيه بحياته.. أي أنه يحلم بالهيمنة على امتداد المكان كما يطمح إلى الخلود، وقد توسل إلى تحقيق هذين الغرضين بكل وسيلة ممكنة، فإذا عجز عن تحقيق غرضيه هذين توسل بالوهم لتحقيقهما، أو توسل بالوهم الجزئي الذي يكمل به ما حققه فعلًا من هذين الغرضين، فهو يسعى إلى التحرك ليشعر نفسه بقدرته على استيعاب أكبر قدر من المكان، ويسعى إلى إطالة حياته قدر المستطاع، فإذا تبين له أن الموت قدر لا سبيل إلى تجنبه انصرف إلى تحقيق بقائه في فكر ينشره ويبقى بعده، أو خلف يخلفه فيمثل استمراره ووجوده، أو ضجة يحدثها لتبقى له بها ذكرى في نفوس الأجيال التالية، أو عمل يمارس الدور الذي كان يقوم به في أثناء حياته.. إلخ (1).

فالحرية إذن مطلب أساسي من مطالب الإنسان في مسيرته على وجه الأرض، وبالحرية يتحقق للإنسان ما يصبو إليه من حياته، وعن طريق الحرية يرشد عقله وتنمو وتتجدد ملكاته الإنسانية، وعن طريق الحرية كذلك تتحقق للإنسان العديد من الإنجازات، وهو أمر مشاهد والتاريخ يثبته قديمًا وحديثًا، والناس يتفاوتون في طلب الحرية، ولكن تبقى الحرية مطلب لكل الناس، وبالتالي لا حضارة للبشر إلا إذا كانت هناك حرية.

ونظام الإعلام الإسلامي يركز على الحرية. إذ إن الإسلام حتى في أهم ركائز العقيدة لم يفرضها بالقوة ولا بالإكراه، وإنما جعل الحرية تقود إلى العقيدة، والقرآن نفسه كتابًا إعلاميًّا بيانيًّا علم الناس أساليب الحوار وحرض عليها في كثير من الآيات والمواقف، قال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة]. فالرسل هم القائمون بالإعلام والاتصال ورسول الله ﷺ أعظمهم، فليس له أن يكره الناس وإنما يترك لهم الحرية، قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور].

وهذه الحرية من خصائص نظام الإعلام الإسلامي في مجال النشر، أي الصحافة والإذاعة والتلفزيون، وغيرها من وسائل الاتصال التي يمكن أن تستغل في النشر والإذاعة.. وهي

(1) رمضان لاوند، من قضايا الإعلام في القرآن (بدون طبعة، بدون دار نشر، بدون تاريخ) ص147 - 149.

وسائل تطورت تطورًا ملحوظًا في العصر الحديث، وكانت الحرية ضرورية لهذه الأجهزة، والوسائل التي تؤدي مهامًّا في المجتمع لخلق رأي عام مستنير توفر هذه الوسائل المعلومات الصحيحة والمفيدة، وكل وسائل الإعلام والاتصال يستخدمها نظام الإعلام الإسلامي. وفي نظام الإعلام الإسلامي يتمتع الفرد والمؤسسات بحرية نشر، وإذاعة المعلومات، وبثها في المجتمع بدون قيود ولا حجر ولا إكراه، ذلك لأن الحرية مبدأ إسلامي أصيل جاءت به الآيات والأحاديث وطبقه رسول الله ﷺ، وأصبحت الحرية -ولا تزال- من مقومات المجتمع الإسلامي مع المساواة والعدل والشورى، إذ إنها دعائم المجتمع الإسلامي ومقوماته ومميزاته، ومن منطلق أهمية المعلومات في المجتمع الإسلامي جعل نظام الإعلام الإسلامي حرية نقل المعلومات -مع المسئولية- واحدة من خصائصه المهمة(1). ولكن ذلك لا يعني أن حرية نقل المعلومات تسوغ وتسوق إلى الفوضى، إنما هي حرية مصحوبة بالمسئولية أمام الله وأمام المجتمع المسلم، وفي الحديث مسئوليات تليها مسئوليات أخرى، قال ﷺ: (كلكم راع، ومسئول عن رعيته؛ الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته، وكلكم راع ومسئول عن رعيته) (متفق عليه).

فالإنسان والمجموعات العاملة في مجال نظام الإعلام الإسلامي هي الأخرى لها حرية، ولكن مسئولة كهذه المجموعات المتقدمة في الحديث، والحرية مقيدة بالمسئولية، والمسئولية لها ضوابط، عقدية وشرعية وأخلاقية، حتى لا تحدث الفوضى باسم الحرية، وهذا ما جعل علماء الإعلام الغربي عندما ضاقوا ذرعًا بالحرية، وعندما تحولت الحرية إلى فوضى من جراء نظام ونظرية الحرية في الإعلام -وهي النظرية الوعاء للإعلام في كل من الولايات المتحدة وفي أوربا الغربية واليابان-. فعندما تحولت هذه النظرية إلى فوضى ألجأت العلماء إلى نظرية المسئولية الاجتماعية(2).

ومنذ فجر الإسلام، وممارسة الدعوة إلى الإسلام تتم عن طريق وسائل الإعلام المتاحة في كل زمان ومكان. وهناك وسائل استغلها رسول الله ﷺ وصحابته من بعده حيث كان الإعلام يتميز بالحرية والمسئولية التي لها ضوابط في الشرع الإسلامي.

إذن، فمن خصائص نظام الإعلام الإسلامي أنه نظام حر في نقل المعلومات، ولكن

---

(1) يمكن للقارئ أن يراجع المبحث الثالث من الفصل الرابع .

(2) محمد سيد محمد، المسئولية الإعلامية في الإسلام، الطبعة الأولى (الرياض : دار الرفاعي ، 1983م) ص215.

مسئول عما ينقله من معلومات حتى لا يؤدي نقله للمعلومات إلى ضرر أو فساد أو فوضى، كما هو الحال في نظام الإعلام الغربي والذي أدى بدوره إلى ابتداع نظرية المسئولية الاجتماعية للحد من تلك الفوضى، كما ذكرنا.

* * *